الفصل التاسع

تواصل نماذج الممارسة

على مدى الفصول الثلاثة توحد السياق حول إثبات أهم خصائص منهج الطرح الإسلامي والتي تتمثل في كونه منهجاً يتعامل مع الواقع المعاصر ، وفي كون ما يقدمه من طروحات وإسهامات قابلة للتطبيق على أرض الواقع ، وفي إمكانية تولى تلك الطروحات بالمتابعة والتطوير ، وفي هذا الفصل يستمر منهج الطرح الإسلامي في عزمه ومضائه من أجل إثبات واقعيته وواقعية طروحاته من خلال ما يذخر به التاريخ الإسلامي ، وكذا الواقع المعاصر من نماذج الممارسة العملية الخاصة بالمنهج وطروحاته .

إن التاريخ الإسلامي يحمل بين صفحاته ما يثرى منهج الطرح الإسلامي ويقر دعواه ، التي مفادها أنه منهج علمي قائم على أصول وقواعد ، وأنه يفرز طروحات قيّمه تجاوبت مع الزمان الذي خرجت فيه إلى أرض الواقع ، وتفاعلت مع المكان الذي عايشت أهله وعاينت خصوصياته ، وأنه أخيراً تمكّن من تحويله إلى نماذج بما تحويه من نظم وتنظيمات وإجراءات وسلوك .

إننا في هذا الموضع نعمد إلى التاريخ الإسلامي لكي نتزود من وقائعه وأحداثه بما يقيم الدليل على أن منهج الطرح الإسلامي كان له وجود فعّال في ذلك التاريخ منذ نشأته التي ارتبطت بانبعاث الدعوة إلى العقيدة الإسلامية ، وكان لطروحاته أهميتها ووقعها في التعامل مع المتغيرات والمستجدات التي طرأت في الحقب الزمنية المختلفة ، وأن تلك الطروحات في تلك الحقب الزمنية التي ظهرت فيها قد تحولت إلى نماذج عملية حركية اختلطت منذ عهد النبوة الزاهر بالواقع وذابت فيه وتحولت إلى جزء منه في هيئة نظم وتنظيمات وإجراءات وسلوكات وتصرفات .

فمنذ عهد النبوة الزاهر ومنهج الطرح الإسلامي قد أعتُمد بوصفه الأداة والوسيلة العلمية الأصولية المنهجية الدقيقة التي أوكلت إليها مهمة الاجتهاد والاستنباط والمواءمة والمضاهاة ثم صياغة الطروحات والآراء والوجهات والرؤى ثم تحويلها إلى نظم وتنظيمات وإجراءات

وممارسات للمسلمين في كل مكان ، قام بذلك الرسول الكريم كقائد سياسي للدولة والمجتهد الأول في هذه الأمة ومعلم مجتهديها وعلمائها وقام بذلك الخلفاء الراشدون والصحابة الأجلاء والتابعون الأخيار .

بعد ذلك استمر العلماء المجتهدون في العصرين الأموي والعباسي بدأب وحرص ومثابرة في ترسم خطى الرسول الكريم وخلفائه الراشدين والتابعين لهم بإحسان ، فالعلماء هم ورثة الأنبياء ، استمر العلماء المجتهدون في الاعتماد على منهج الطرح الإسلامي الذي ظلت مهمته متمثلة في صياغة الطروحات المبنية على المضاهاة والمواءمة بين المتغيرات والمستجدات والأصول والقواعد المستنبطة من المرجعيات الشرعية ، ولكنها في الواقع العملي لم تتحول إلى نظم ولكن تحولت إلى تنظيمات وإجراءات وسلوكات لأن النظم كانت قد استقرت ولو على شكل غير أصولي ولكنها كانت غير قابلة للتغيير ، حيث أن القائمين عليها صمموا على فرضها ، ومن ثم اقتصرت الطروحات على تقديم أطر التنظيمات والإجراءات والسلوكات .

وفي عصر التفكك والانهيار ندر استخدام منهج الطرح الإسلامي ، وندر كذلك المجتهدون الذين يمكن لهم استخدام ذلك المنهج ، وندرت بالتالي الطروحات التي تستوعب المتغيرات وتحتوي المستجدات ، ومن ثم أغلق باب الاجتهاد ، وظلت الإشكاليات الناجمة عن المتغيرات والمستجدات المتلاحقة تتم مواجهتها بطروحات من عصور سالفة فتراكمت تلك الإشكاليات وكان ذلك سبباً رئيسياً في بُعد المسلمين عن الأصول والقواعد والمرجعيات الإسلامية وفي تخلفهم الذي باتوا فيه .

وفي الوقت الراهن بات الأمر مختلفاً ، فلم يعد أحد يسمع عن منهج للطروحات الإسلامية ولم يعد أحد يجرؤ على الحديث في أية أمور من هذا القبيل ، وأصبح من الصعب مواجهة متغيرات العصر ومستجدات الزمن ، حيث انقسم العارفون في زماننا إلى قسمين : الأول

عرف الدين كعبادة ونسك وأحكام وحدود ، والثاني عرف الحياة كعلوم ونظم وتنظيمات وإجراءات وسلوكات مستوردة من بيئات غريبة ، وتم الفصل التعسفي بين الأمرين ، وبات كل قسم في واد ، فمن عرف الدين لم يعرف أمور الدنيا ، ومن عرف أمور الدنيا لم يعرف من الدين إلا العبادة ، وتوهم الجميع أن الدين لم يأت لإصلاح الدنيا وسياستها حيث أنه دين الدنيا والآخرة ، وأصبح الوضع الراهن يحتاج إلى طروحات ناتجة عن منهج الطرح الإسلامي لا تحتوى التنظيمات والإجراءات والسلوكات فقط بل تحتوى قبلها النظم ذات الأصول والصبغة والهوية الإسلامية .

في هذا الفصل نقدم متابعة تاريخية لتطور منهج الطرح الإسلامي وطروحاته عبر التاريخ الإسلامي بحقبه المختلفة والمتفاوتة من حيث القوة والضعف وذلك من خلال المباحث الستة التالية :

المبحث الأول : منهج الطرح الإسلامي والطروحات الإسلامية

وتطبيقاتها في عصر النبوة الزاهر .

المبحث الثاني : منهج الطرح الإسلامي والطروحات الإسلامية

وتطبيقاتها في عصر الخلافة الراشدة .

المبحث الثالث : منهج الطرح الإسلامي والطروحات الإسلامية

وتطبيقاتها في العصر الأموي .

المبحث الرابع : منهج الطرح الإسلامي والطروحات الإسلامية

وتطبيقاتها في العصر العباسي .

المبحث الخامس : منهج الطرح الإسلامي والطروحات الإسلامية

وتطبيقاتها في عصر التفكك والانهيار .

المبحث السادس : منهج الطرح الإسلامي والطروحات الإسلامية

وتطبيقاتها في الوقت الراهن .

المبحث الأول

منهج الطرح الإسلامي والطروحات الإسلامية

وتطبيقاتها في عصر النبوة الزاهر

لقد كان رسول الإنسانية القدوة والأسوة في كل الأمور ، وفي هذه الجزئية سننصرف إلى تحليل جانب ذي خصوصية من حياة الرسول الكريم وهو المتعلق باجتهاده الشخصي المعتمد على عقله الأريب وفكره السيد ورأيه الراجح وخلقه العظيم كقائد سياسي ورجل دولة من الطراز الأول وذلك كله بمنأى عن الوحي المنزل والنبوة ، فنحن الآن نعكف على دراسة جانب معين من حياة الرسول الإنسان المجتهد المفكر الذي يصنع القرار في سياسة الدولة ويتخذه في أمور لم ينزل بها الوحي ، وهي أمور شبيهة بما يحدث في عصرنا وما حدث في كل العصور ، أنها المتغيرات والمستجدات الدائمة الحركة والدائبة التطور ، فكيف واجهها الرسول الكريم ، وكيف تعامل معها بالاحتواء والاستيعاب من خلال اجتهادات وطروحات قامت على أساسها النظم السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية وانتصبت على قواعدها التنظيمات المختلفة وأرست السلوكات والتصرفات التي نظمت ورتبت حركة المسلم في الحياة في أول دولة إسلامية عرفها التاريخ ، والتفصيل فيما يلي :

أولاً : اجتهاد الرسول الكريم كقائد سياسي للدولة الإسلامية :

سلوكات الرسول الكريم وتصرفاته في الحياة العامة المتعلقة بسياسة أمور الدولة وشئون المسلمين انقسمت إلى قسمين : القسم الأول : سلوكات وتصرفات وقرارات كان أساسها الوحي المنزل من عند الله ومن ثم فهي كانت في عداد الأوامر الإلهية التي يجب على الرسول الكريم والمسلمين جميعاً الالتزام بها حيث لا خيرة لهم فيها ، وهذا الشق من

السلوكات والتصرفات والقرار ليس محور اهتمامنا في هذه الجزئية ، القسم الثاني : سلوكات وتصرفات وقرارات كان أساسها الاجتهاد المبنى على الرأي والفكر والخلق والخبرة والتجربة لرجل الدولة والقائد السياسي ، وهذا الشق من السلوكات هو محور الاهتمام لأنه كان يمثل الآراء والطروحات التي تفاعلت مع التطورات والأحداث والمتغيرات والمستجدات واحتوتها واستوعبتها وقدمت النموذج الأول والمثال الأصيل للطرح الإسلامي المتكامل .

لقد كان الرسول الكريم أول المجتهدين وعظيم المفكرين بخلقه الذي وصفه رب العزة بالعظمة وياله من خلق هو خلق معلم الإنسانية ، كان يقدم الرأي والطرح ويستهدف من ورائه هدفين : الأول أن يسوس الدولة ويحقق مصالح المسلمين وينشر دين الإسلام ، والثاني أن يعلم المسلمين كيف يتدبرون أمورهم ويصنعون مثل صنيعه في متابعة المتغيرات والمستجدات واحتوائها بما يتواءم مع الأصول والقواعد الشرعية ويحقق في ذات الوقت مصالح المسلمين .

وعليه فقد كان الكثير من أمور وشئون الدولة الإسلامية ومصالح المسلمين يدار بناءً على الرأي والطرح الذي يقدمه الرسول الكريم بعد تدبر وتفكير واستعراض للخبرة والتجربة التي يملكها صلى الله عليه وسلم بوصفه رجل الدولة والقائد السياسي .

ثانياً : الرأي والطرح المبنى على الشورى الجماعية :

إلى جانب الرأي والطرح الذي كان يقدمه الرسول الكريم كقائد سياسي كان هناك الرأي والطرح المبنى على الشورى بين المسلمين خاصتهم وعامتهم ، فكان صحابة الرسول الكريم يستشارون في كثير من الأمور الخاصة بسياسة الدولة وقضاء مصالح المسلمين التي لم يتنزل بها الوحي ولم يعرض الرسول بخصوصها رأياً أو يبسط طرحاً من عقله وفكره وقريحته ،

فكانوا يقدمون الآراء فيختار أرجحها وكانوا يجمعون على الرأي فيأخذ به ، ففي حالة تعدد البدائل يختار أرجحها ، وفي حالة الإجماع أو اتفاق الأكثرية يأخذ به .

وكما كان الرسول الكريم يستشير الصحابة ويتلقى الرأي والطرح ، كان كذلك يستشير عموم المسلمين في الكثير من الأمور ويأخذ أيضاً بأرجح الآراء أو برأي أكثريتهم ، وكل ذلك كان بمثابة آراء وطروحات يقدمها المسلمون بناءً على العلم والفهم والتجربة والخبرة وهدفها استيعاب الأمور المتطورة والمتغيرات والمستجدات ، وكانت تلك الطروحات والآراء تقدم في كافة المواقف في شئون سياسة الدولة وفي الحرب وحتى في الشئون الخاصة بالرسول الكريم والذي يعرضها على المسلمين ويسمح لهم بالاطلاع عليها .

ثالثاً : الأخذ بالرأي الصائب الرشيد الراجح :

قد يتقدم أحد الصحابة أو أحد عموم المسلمين برأي صائب رشيد راجح يحمل حلاً لأزمة أو علاجاً لمسألة أو مخرجاً من مأزق ، فيأخذ به الرسول الكريم ويثني على صاحبه ويكرمه لأنه اجتهد وقدم رأياً أو طرحاً أفاد الأمة وعموم المسلمين .

وأصحاب هذا الرأي رغم أنهم أفراد إلا أن رجاحة عقولهم ورشد آرائهم وفهمهم واستيعابهم لما يبسطون رأيهم بخصوصه جعلهم الأجدر والأكفأ والأولى بالإتباع ومحط التكريم والثناء ، وهكذا يفسح المجال وتعطى الفرصة لمن يملك مقدرات ومكنات تقديم الرأي والطرح لأن يبسط ما لديه من رؤية وطرح ورأي ، وقدوتنا في ذلك هو الرسول الكريم الذي اجتهد وحث صحابته وعموم المسلمين على الاجتهاد فيما ينبغي الاجتهاد فيه وهو متغيرات الزمن ومستجدات الأيام التي يعلمها المسلم أو يخبرها .

رابعاً : خصائص الطروحات التي كانت تقدم في عهد النبوة الزاهر :

كانت الطروحات في عهد النبوة الزاهر تتسم بجملة من السمات والخصائص تتمثل في الآتي :

❖ اتسمت الطروحات في عهد النبوة الزاهر بأنها تصدر من أصحاب العقول الراجحة والآراء السديدة والخبرة والتجربة ، وهذا يعني أنها ترتكن على أصول وقواعد تنتهي إلى بلورة ما يعرف بالمنهج ، والأخير يتواءم مع كل زمان ومكان .

❖ كذلك اتسمت الطروحات التي ظهرت في عهد النبوة الزاهر بأهم سماتها وهو أنها كانت بمثابة الأسس والمرتكزات التي بنيت عليها النظم المختلفة السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية في الدولة الإسلامية والمجتمع المسلم ، وبصفة خاصة الطروحات التي صدرت عن الرسول الكريم والخلفاء الراشدين ، فهذه هي طروحات تأسيس النظم في الدولة الإسلامية الأولى .

❖ كذلك كانت تلك الطروحات بمثابة الأسس التي بنيت عليها التنظيمات داخل الدولة الإسلامية والإجراءات الخاصة بتسيير شئون الدولة وعلاقات أفراد المجتمع ببعضهم وبالدولة في ذات الوقت ثم السلوكات والتصرفات الخاصة بالمسلمين وهم بصدد ممارسة حياتهم اليومية .

❖ أيضاً كانت الطروحات في عهد الرسول الكريم وسيلة للتعليم وسند شرعي أصيل على ضرورة الاجتهاد وإفساح المجال لكل من يملك مقدرات ومكنات الاجتهاد لأن يقدم ما لديه لرفعة شأن الأمة وإعلاء شأن الدين القويم ، ومن شأن ما تقدم أن يوضح أهمية تلك الطروحات وضرورتها والأسس والأصول التي ترتكن عليها .

مما تقدم تخلص إلى ما مفاده أن عصر النبوة الزاهر بمثابة المنبع التي نبعت منه الطروحات وأخذت شكلها الصحيح وتأسست أصولها وقواعدها ليصبح بعد ذلك نموذجاً يحتذى وسنداً يعتد به ويرتكن عليه في القيام بمهمة الاجتهاد وتحديد قواعد وأصول ذلك الاجتهاد .

المبحث الثاني

منهج الطرح الإسلامي والطروحات الإسلامية

وتطبيقاتها في عصر الخلافة الراشدة

تركنا في المبحث السابق منبع الطروحات ومهدها الأول لننتقل في هذا المبحث إلى عصر آخر ازدهرت فيه الطروحات لتواصل مهمتها المتمثلة في ترسيخ أركان الدولة وإرساء قواعد نظمها وأنظمتها وإجراءاتها وسلوكات وتصرفات مواطنيها وبصفة خاصة أنها كانت قد شرعت في التوسع والامتداد في كافة الاتجاهات ، وسنلاحظ بداءة أن محور الطروحات كان التنظيمات والإجراءات والسلوكات أما النظم فقد تم إرساء قواعدها في عهد النبوة الزاهر ، والإيضاح فيما هو تالي :

أولاً : في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق :

إذا كانت أهداف الاجتهاد والطرح قد تمثلت في عصر النبوة الزاهر في تشكيل النظم والتنظيمات والإجراءات والسلوكات فإن أهدافه في عصر الخلافة الراشدة قد تمثلت في إرساء وترسيخ تلك الأنظمة وابتكار وتقعيد التنظيمات والإجراءات وإقرار وضبط السلوكات والتصرفات وقد توزع الاجتهاد وصياغة الطروحات على ثلاثة جهات كما يلي :

❖ **اجتهاد الخليفة :**

كان خليفة رسول الله أبو بكر الصديق عميق الإيمان شديد التقوى والورع لدرجة أن رجّح الرسول الكريم إيمانه على إيمان الأمة ، وبالرغم من ذلك كان يخشى الخطأ ويخاف الزلل ، فاعتاد ألا يقطع أمراً إلا بالعودة إلى رديفه أو وزيره عمر بن الخطاب أو إلى كبار الصحابة أو إلى أهل الاختصاص من المسلمين .

لكن الخلفية الراشد أبا بكر الصديق كان يجتهد ويطرح رؤياه ويبسط وجهته فيما يتعلق بالمتغيرات والمستجدات التي لا يقم بخصوصها نص صريح في القرآن والسنة ، وكان في ذلك يقتدى بالرسول الكريم ، وكان الصديق يُراجع في بعض اجتهاداته ، وكان يُراجع من قبل الفاروق ، وكان يستجيب لتلك المراجعة بل ويسعد بها ويحمد الله على أن قيّض له من يعيده إلى الصواب ويبعده عن الزلل .

لقد كانت اجتهادات وطروحات خليفة رسول الله دقيقة وحذرة ويبدو فيها بجلاء الالتزام بالأصول والقواعد الواردة في القرآن والسنة ، إلا أن اجتهاداته المتعلقة بقتال المرتدين اتسمت بالتصميم والعزم والمضاء ، حيث تواءمت مع الحدث الذي يتعلق بكيان الدولة الناشئة في مرحلة حاسمة انتقل فيها الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى .

❖ اجتهاد الصحابة :

في فترة خلافة أبي بكر الصديق كثرت اجتهادات وطروحات كبار الصحابة المقربين من الخليفة وبصفة خاصة عمر بن الخطاب الذي كان يعتبر رديفاً للخليفة ووزيره الأول ، وكان عمر بن الخطاب يجتهد ويقدم آراءه في المسائل التي يعرضها عليه الخليفة أو التي تقف أمامه ويرى من الواجب أن يتولاها بالرأي لما تمثله من أهمية في حياة المسلمين .

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن الكثير من الاجتهاد والطرح والرأي كان يرد لتقويم وتصحيح اجتهادات الخليفة أو كبار مستشاريه ، وهذا يعنى أن الرأي الآخر كان موجوداً ويعتد به ويعوّل عليه ويقابل باحترام وتقدير بالغين ، ويمكن أن يأتي اجتهاد التقويم أو التصحيح من أي مصدر ، فقد يأتي من كبار الصحابة ، وقد يأتي من أهل الاختصاص من عموم المسلمين .

بالإضافة إلى ما تقدم كان هناك اجتهاد أو رأي الصحابة الذي يقدمونه عندما تعن مشكلة أو معضلة ويستفتون فيها ، وقد يقدمون رأيهم للتقويم والتصحيح .

❖ اجتهاد عموم المسلمين :

كما في عهد النبوة الزاهر برز في عهد خليفة رسول الله أبي بكر الصديق اجتهاد وآراء عموم المسلمين الذين تجتمع لديهم المعرفة والخبرة في أمر من الأمور ، وقد اشتهرت تلك الاجتهادات والآراء في حروب الردة ومن أجل إقرار شئون الدولة وبالذات في الأمور الإدارية العامة والمحلية ، وهذا يدلل على أن الاجتهادات كانت مكفولة لجميع المسلمين.

ثانياً : في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب :

كان عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب مزدانـاً بالطروحات والآراء التي صدرت عن الخليفة وكبار الصحابة من حوله والقواد الذين قادوا جيوش المسلمين لحمل وتوصيل الدعوة والدعاة الذين آلوا على أنفسهم التبليغ ، فحري بهذا العهد أن يكون عهداً زاهراً بالطروحات والآراء القيمة في كافة مجالات الحياة ، ولنتابع ذلك بالتفصيل :

❖ اجتهاد الخليفة :

كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب مثالاً لولي الأمر ورجل الدولة المجتهد ، فقد إتّبع في الدين مترسماً قواعد وحدود الشرع في القرآن الكريم ومقتدياً بسنة الرسول الكريم ، وفي ذات الوقت ابتدع في الدنيا وأبدع غاية الإبداع في نظم وتنظيمات وإجراءات الدولة الإسلامية الفتية التي بدأت في عهده تمتد أطرافها وتتسع أقاليمها وولاياتها بشكل ملحوظ ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد أفسح بن الخطاب المجال واسعاً للاجتهاد والإسهام الفكري والعملي لكل من كان حوله من كبار الصحابة وأهل التخصص والخبرة في

كافة الأمور والمجالات ، وقد تشعبت اجتهادات الخليفة الراشد عمر بن الخطاب في عدة اتجاهات نحصرها في الآتي :

- في مجال ترسيخ نظم الدولة الإسلامية : تواصلت اجتهادات الخليفة عمر بن الخطاب الرامية إلى ترسيخ أصول وقواعد أنظمة الدولة الإسلامية السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية التي صاغها الرسول الكريم ، وكانت هذه مهمة حيوية وضرورية تتواءم مع وضعية وظروف الدولة الناشئة التي تتطور بسرعة ، وقد جاءت هذه المهمة في شكلين :

□ الشكل الأول : تطوير أصول وقواعد النظم السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية في مركز الدولة ثم في الأقاليم والولايات وذلك بإدخال أو إضافة أصول وقواعد جديدة على النظم المذكورة وذلك لمواءمة تطور الدولة .

□ الشكل الثاني : تطوير التنظيمات والإجراءات والسلوكات بإضافة الجديد الذي يحتوى المتغيرات والمستجدات ، ولتفصيل هذه المهمة إجمالاً نحيل إلى مؤلف متقدم من مؤلفات هذا العمل الموسوعي .[1]

- في مجال الاجتهادات والطروحات الفكرية : كذلك كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب مجتهداً متضلعاً في ما يتعلق بالطروحات التي تستوعب المتغيرات والمستجدات التي تكاثرت وتكاثفت في عهده تأسيساً على توسع أرجاء الدولة ودخول أعراق وعناصر جديدة إلى تلك الدولة .

---

[1] . يمكن الرجوع إلى المجلد الرابع : الذات الحضارية للإسلام (الحضارة الإسلامية) الجزء الثاني ، نشر الدعوة والتنظيم ، الباب الثاني ، التنظيم .

❖ اجتهاد الصحابة :

أتاح الخليفة الراشد عمر بن الخطاب الفرصة كاملة للصحابة ليقدموا اجتهاداتهم وطروحاتهم في الأمور والمسائل التي فهموها واستوعبوها ، وكان بن الخطاب يسأل وزيره الأول عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب وعبدالله بن عباس وأبي بن كعب وغيرهم من الصحابة الأجلاء ، وكانوا يجيبونه في المسائل والقضايا الاقتصادية والإدارية والاجتماعية والحربية ناهيك عن المسائل والقضايا العقائدية .

❖ اجتهاد المتضلعين من عموم المسلمين :

لم يكن الاجتهاد والإسهام والطرح في كافة الأمور والمجالات حكراً على الخليفة عمر بن الخطاب والصحابة بل كان مكفولاً كذلك للمتضلعين من عموم المسلمين ، فكان الخليفة يطلب المشورة من أي مسلم يفهم في أمر من الأمور ويستوي في ذلك الرجال والنساء .

إن المتابع والمتأمل لطبيعة الاجتهادات والطروحات التي افرزها عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب يلاحظ أنها انصبت على التنظيمات والإجراءات والسلوكات التي كان يحاول المسلمون تطويرها لكي تستوعب المتغيرات والمستجدات التي ترتبت على توسع مساحة الدولة وامتدادها لتشمل أجناساً وأعراقاً مختلفة .

ثالثاً : في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان :

في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان استمرت الطروحات الإسلامية تتوالى ولكنها ربما تكون قد قلت عن ذى قبل وتعددت مصادرها واختلفت أغراضها ، وذلك لاختلاف الظروف والمتغيرات والمستجدات التي أحاطت بالدولة الإسلامية واختلال بعض الأصول والقواعد الخاصة بأنظمة الدولة وتنظيماتها السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية ،

وذلك الاختلال كان سبباً في انتشار وسيادة عدم الاستقرار والفوضى التي انتهت بالفتنة الكبرى حيث تفرق المسلمون إلى شيع وأحزاب ، والتفصيل فيما يلي :

❖ اجتهاد الخليفة :

لم تكن اجتهادات وطروحات الخليفة الراشد عثمان بن عفان مثل اجتهادات سلفه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، من حيث كثافة الطروحات وجرأتها ودورها الأساسي والحيوي في استكمال أنظمة الدولة وتنظيماتها والإجراءات الخاصة بتسيير حركة تلك الأنظمة وكذا السلوكات الخاصة بالمسلمين على كافة المستويات .

ولكن الخليفة لم يكف عن تقديم الرؤى الفكرية والآراء المتكئة على المرجعيات الإسلامية الشرعية ، ومع هذا يُلاحظ أن كثرة الخلافات بين الفرق الفقهية والفكرية التي بدأت في الظهور في ذلك الوقت ، وتدخل أنصار الخليفة والمقربين منه المستمر بالرؤى والآراء قد حد بشكل ملحوظ من طروحات الخليفة نفسه وكاد أن يطمسها ويحجبها .

❖ اجتهاد الصحابة :

ظل صحابة رسول الله الأجلاء يقدمون الآراء والطروحات الخاصة بتنظيم أمور وشئون المسلمين والدولة الإسلامية في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية ، ولكن الملاحظة الجديرة بالتسجيل في هذا الصدد أن تلك الطروحات والآراء قد تعددت ثم تباينت في مرحلة تالية ، وهذا التباين والتعدد يفيد عدم الاتفاق على أصول وقواعد ثابتة ، حيث أن الخلاف كان كثيراً ما يحدث حول الأصول والقواعد ثم ينتقل إلى المتغيرات والمستجدات .

❖ آراء ورؤى الأنصار والمقربين :

تكاتف على الخليفة عثمان بن عفان عدد غير قليل من الأنصار والمقربين الذين بدا أنهم قد ائتلفوا على روابط وانتماءات قبلية ، ثم شرعوا يزودون الخليفة برؤى وآراء لم تكن في معظمها تستهدف مصلحة الدولة وصالح المسلمين .

وما يمكن أن يلاحظ على طروحات الخليفة والصحابة في عهد عثمان بن عفان هو أن تلك الطروحات اتجهت في معظمها نحو التنظيمات والإجراءات وتقويم وإصلاح النظم الاقتصادية والإدارية وإعادتها إلى وضعها الأصولي كما كانت في عهد النبوة الزاهر .

رابعاً : في عهد الخليفة الراشد الأمام على بن أبي طالب :

في هذه الفترة احتدمت الخلافات الفكرية بين أبناء الأمة وتطورت إلى صراعات عضوية تجسدت في معركتين مأساويتين كانتا بمثابة البداية الصريحة لسلسلة من الأحداث والتداعيات الدامية في تاريخ الأمة الإسلامية ، ومما لا شك فيه أن هذه التداعيات والأحداث تتصل بشكل مباشر بالطروحات والرؤى التي طفت على سطح تلك الأحداث كمقدمات لها أو كمترتبات عليها ، فماذا عن مصادر تلك الطروحات ؟ وماذا عن موضوعاتها وقضاياها الأساسية ؟ ، وذلك سيتم توضيحه من خلال الآتي :

❖ اجتهاد الخليفة :

كان الخليفة الراشد الأمام سخياً في طروحاته حجة في اجتهاداته عميقاً واسعاً في أفكاره ، ملك ناصية البيان لأنه كان متعلماً ولم يكن أمياً ، قدم طروحات في موضوعات شتى ومسائل عديدة فقهية وشرعية وسياسية واقتصادية وإدارية وأدبية وفكرية ضمنها كتابه " نهج البلاغة " جمعت طروحاته بين الأصول والقواعد الشرعية للعقيدة والشريعة ، والأصول والقواعد للإسلام كنظام اجتماعي ، ونماذج وأدوات الحركة الإسلامية ، وقواعد

تقويم النظم السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية في الدولة الإسلامية وإصلاحها وإعادتها إلى وضعها الصحيح ، إلا أن تلك الطروحات جاءت في وقت زاد فيه الهرج والمرج وانتشرت الفتنة وضربت الفوضى بأطنابها فلم تلاق طروحاته أي صدى إلا لدى أنصاره ومشايعيه .

❖ اجتهاد الصحابة :

بالرغم من انقسام الأمة إلا أن من شهد ذلك العصر من الصحابة الأجلاء قدم رؤياه وآراءه التي كان هدفها إنقاذ الأمة من الفتنة وحقناً لدماء المسلمين ، وكان ما أصاب الأمة من تمزق وتشتت سبباً مباشراً في تباين طروحات الصحابة التي انطلقت من مرجعيات واحدة وتوحدت حول الهدف والغاية ، ولكن المتغيرات والمستجدات غير المألوفة وغير المتوقعة التي طرأت على حياة الأمة عالجها كل رأي معالجة مختلفة ودخل إليها كل طرح من مدخل مغاير نتيجة تباين تكييفها وتحليلها في سياق المرجعيات والأهداف والغايات .

❖ طروحات المشايعين والأنصار :

شهد عهد الخليفة الراشد الأمام على بن أبي طالب بروز طائفة جديدة من الطروحات والرؤى والآراء أفرزتها فرق المشايعين والأنصار التي أطلقت على نفسها أو أطلقت عليها تسميات بحكم موقفها من الأحداث والتداعيات ، وكانت كل فرقة تقدم من الطروحات والآراء ما يمثل خطة إحراز النصر على المنافسين وإعادة الأمور إلى وضعها الطبيعي .

❖ أهداف الطروحات في تلك الفترة :

لقد كانت السمة الأساسية لما أفرزته هذه الفترة العصيبة من تاريخ الأمة الإسلامية من طروحات هي أنها إنما جاءت لتحقيق أي من الأهداف التالية :

- أعادة النظم السياسية والاقتصادية والإدارية إلى وضعها المثالي التي كانت عليه في عهد النبوة الزاهر وعهدي الخليفتين الراشدين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب .

- إرساء وإقرار أصول وقواعد جديدة للنظم السياسية والاقتصادية والإدارية للدولة ، بحيث تستوعب المتغيرات وتحتوى المستجدات ولكن في إطار الأصول والقواعد المستقاة من المرجعيات الإسلامية الشرعية .

- ما تقدم جاء في سياق الرغبة في الخروج من الأزمة بإقرار صيغة توافقية ائتلافية أو فض الصراع بانتصار مزيف وظهوره على الآخرين ، ولكن هذه الرغبة كان في وجودها وتبلورها ما يعد دليلاً قوياً على بروز التشرذم والتحزب الذي تحول إلى واقع لم يستطع أحد أن ينكره .

المبحث الثالث

منهج الطرح الإسلامي والطروحات الإسلامية

وتطبيقاتها في العصر الأموي

فيما سبق تابعنا وضعية الطروحات الإسلامية ، مصدرها غايتها موضوعاتها ، وابتداءً من هذا المبحث نتابع الطروحات الإسلامية في عصور أخرى على مدى التاريخ الإسلامي ، عصور اتسمت بسمات اختلفت كلياً عن عصري النبوة الزاهر والخلافة الراشدة ، لقد بدأ التاريخ الإسلامي مرحلة جديدة ، مرحلة الابتعاد التدريجي عن المثالية والاتجاه نحو الواقعية ، والابتعاد كذلك عن الأصول والقواعد التي صيغت في عهد النبوة الزاهر لتنظيم كافة أمور ونواحي الحياة من سياسية واقتصادية وإدارية واجتماعية والاتجاه نحو الطروحات التبريرية التي تبرر الابتعاد والخروج عن تلك الأصول والقواعد ، وعليه فإن مصدر الطروحات وغايتها وموضوعاتها في هذه المراحل الجديدة من التاريخ الإسلامي قد اختلفت عن ذي قبل ، وتبدأ هذه المراحل الجديدة بالعصر الأموي ، ويمكننا متابعة منهج الطرح الإسلامي والطروحات الإسلامية وتطبيقاتها في العصر الأموي من خلال التحليل التالي :

أولاً : طروحات أنصار الحاكم ومساعديه :

ابتداء من العصر الأموي لم نعد نتحدث عن اجتهاد الحاكم وطروحات ولي الأمر ، فقد ولّى زمن الخليفة المجتهد المتعمق في الشريعة المتبحر في العقيدة وأصولها ، الباحث المنقب في كافة الأمور والقضايا الذي يصيغ الآراء والطروحات بحذق وخبرة ودراية وتقوى وورع ، وأصبحنا إزاء الحاكم الذي يحكم ويمارس السياسة من خلال من حوله من الأنصار والمساعدين والمستشارين فهو يتخذ القرارات من خلال هؤلاء ، ومن ثم فالأنصار

والمساعدون أضحوا مصدر الآراء والرؤى والطروحات التي هي في ذات الوقت المنطلقات الفكرية لقرارات الحاكم ومبرراتها الشرعية .

وطروحات ورؤى بطانة الحاكم في العصر الأموي قد يطلبها الحاكم ، وقد تصدر من هؤلاء بشكل تلقائي حسب الموقف والحدث ، وجميعها تصاغ لتبرير تصرفاته ومساندة قراراته ، وقد ارتبط بما تقدم سمات الأنصار والمساعدين ، حيث تمثلت أهم تلك السمات في الدهاء والكياسة والمكر وعمق التفكير وسعة الحيلة ، وكان ذلك هو واقع نظام الحكم في العصر الأموي باستثناء عهد عمر بن عبدا لعزيز .

ثانياً : طروحات كبار الصحابة وأبنائهم :

بالرغم من أن بعض كبار الصحابة كانوا في مساعدة حكام بني أمية ، وكانوا مصدراً وثيقاً ومهماً للطروحات والرؤى التي استند إليها هؤلاء الحكام ، إلا أن الكثير من كبار الصحابة الذين شاهدوا العصر الأموي اتخذ موقفاً مستقلاً اتسم بالموضوعية والحيادية والنزاهة ومن ثم كان على خلاف مستمر وعميق مع حكام بني أمية الذين تعاملوا مع مخالفيهم في الرأي بشدة وقسوة معروفة في التاريخ الإسلامي .

لقد صدرت عن كبار الصحابة الذين شاهدوا العصر الأموي طروحات ورؤى وآراء تناولت كافة المتغيرات والمستجدات التي احتواها العصر الأموي ، وقد ركزت تلك الطروحات بالأساس على مدى اتفاق تلك المتغيرات والمستجدات مع الأصول والقواعد التي تمت صياغتها في عصري النبوة الزاهر والخلافة الراشدة ، ولكنهم لم يتمكنوا من احتواء واستيعاب تلك المتغيرات والمستجدات ، ومعنى ذلك أنها كانت مقارنة ومفاضلة دون معالجة أو حلول للإشكاليات المترتبة على المتغيرات والمستجدات ، فهي رغبة في الارتداد بالزمن إلى الخلف لعصور الازدهار والإيناع أو استحضار واستدعاء العصور الزاهرة اليانعة

إلى الزمن الحاضر وتلبسها به وإعطائه خصائصها وقواسمها ، ولم يكن ذلك بالأمر الممكن القابل للتطبيق .

ولعل سبب ذلك الإخفاق الذي لحق بطروحات وآراء ورؤى الصحابة الأجلاء هو الإفراط في المثالية والتمسك المطلق برفض الواقع ورفض التعامل معه مع أنه أصبح يمثل حقائق ماثلة لا يمكن الإعراض عنها أو تجاهلها ، وهذا ما جعل الكثير من تلك الطروحات والرؤى لا يلقى القبول لدى الحكام ولدى الناس كذلك ، وهذا لا يقدح في قيمة تلك الطروحات ومثاليتها ولا يحط من قدرها وسمو مقصدها وغايتها ، ولقد كانت تلك الطروحات والرؤى بالشكل الذي قدمناه سبباً في اضطهاد بعض الصحابة ومطاردتهم بشكل مأساوي والإساءة إليهم ، وقد حفر التاريخ الإسلامي هذه السوابق في صفحاته بمداد من الأسى والألم .

ثالثاً : طروحات العلماء :

كذلك وجد في العصر الأموي فصيل ثالث من أصحاب الطروحات وهم العلماء الذين واجهوا المتغيرات والمستجدات التي احتواها العصر الأموي بأسلوب علمي قام على أساس فهم واستيعاب تلك المتغيرات والمستجدات ثم استنباط الأصول والقواعد من المرجعيات الإسلامية ومضاهاتها بالمتغيرات والمستجدات ثم صياغة الطروحات التي تحتويها وتستوعبها .

وقد شملت هذه الطروحات كافة مجالات ونواحي الحياة من سياسية واقتصادية وإدارية واجتماعية ومن هذه الطروحات ما استفاد به الحكام وأعوانهم انطلاقاً من واقعيتها وعلميتها ، وانحرفت هذه الطروحات إلى تكييف النظم وتقويمها قدر المستطاع وابتكار

التنظيمات والإجراءات وغيرها من السلوكات والتصرفات التي تطلبتها الحياة بظروفها الجديدة في ذلك العصر ذى الخصوصية .

ويمكن القول أن العصر الأموي هو البداية الحقيقية الكثيفة التي شهدت طروحات العلماء والتي تطورت فيما بعد في العصر العباسي لتبلور المعنى الحقيقي للثقافة والفكر الإسلامي ، فالثقافة الإسلامية منذ ذلك العصر كانت بمثابة المزيج الذي يجمع بين الأصول والقواعد المستقاة من المرجعيات الشرعية والإسلامية وبين المتغيرات والمستجدات التي يذخر بها الواقع المعاش في ذلك العصر ، وذلك المزيج هو مركب شكّلته مهارة وعلم وخبرة المفكر الباحث (العالم) فهو بالنسبة له فكر وبالنسبة للمجتمع ثقافة .

صفوة القول أن العصر الأموي قد شهد ثلاثة فصائل من الطروحات : الأولى طروحات أنصار ومساعدي الحكام وهي ذات طبيعة توجيهية تبريرية ، والثانية طروحات كبار الصحابة وأبنائهم وهي ذات صبغة مثالية أصولية ، والثالثة وهي طروحات العلماء وهي ذات سمة علمية واقعية توفيقية .

المبحث الرابع

منهج الطرح الإسلامي والطروحات الإسلامية

وتطبيقاتها في العصر العباسي

بحق كان العصر العباسي هو عصر الطروحات التي مثلت مخرجات الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي العميق التي ظلت على مر التاريخ الإسلامي تمثل فترة من أثرى وأغنى فتراته ، ويمكننا أن نكشف الضوء على منهج الطرح الإسلامي والطروحات الإسلامية وتطبيقاتها في العصر العباسي الثرى من خلال الجزئيات التالية :

أولاً : خصائص الطروحات الإسلامية في العصر العباسي :

يهمنا في البداية أن نلقى نظرة فاحصة على خصائص الطروحات الإسلامية في العصر العباسي ، ومن شأن تلك الخصائص أن ترسم صورة حقيقية لواقع الحياة الفكرية إجمالاً في ذلك العصر ، ومن أهم خصائص الطروحات الإسلامية في العصر العباسي نذكر ما يلي:

❖ حرية التفكير والفكر :

اتسم العصر العباسي بحرية التفكير والفكر ، ولعل أهم الأسباب التي وقفت وراء ذلك تمثلت في طبيعة النظام السياسي الذي أفسح المجال لتلك الحرية بل ويشجعها في بعض الأحوال ، وتمثلت كذلك في وصول عناصر غير عربية إلى مركز الخلافة في بغداد مما كفل لكافة العناصر والأعراق التعبير عن أفكارها دون وجل ، وأيضاً تمثلت في ضعف مركز الدولة في بغداد وعدم مقدرته على السيطرة الصارمة على الولايات والأقاليم الإسلامية ، قد مكّن ذلك أبناء تلك الأقاليم والولايات من التعبير بحرية عن أفكارهم تجاه كافة القضايا التي يواجهها المجتمع ، وقد خرج ذلك التعبير في شكل طروحات ورؤى وآراء .

وتأسيساً على ما تقدم شهد العصر العباسي ازدهاراً في الفكر الإسلامي ، حيث عبر المفكرون عن مرئياتهم ووجهاتهم في كافة القضايا بحرية وانطلاق ، وهذا الفكر يختلف عن الثقافة الإسلامية التي جاءت في شكل طروحات ورؤى تمزج بين متغيرات ومستجدات العصر والأصول والقواعد المستنبطة من المرجعيات الإسلامية .

❖ بروز الطروحات العلمية :

كذلك اشتهر العصر العباسي بالطروحات التي تأسست على قواعد منهجية علمية ، ومن ثم يكون ذلك العصر هو الذي رسخ المنهج العلمي في البحث ، وبرز ذلك بوضوح عند أبي بكر الرازي وأبي الريحان البيروني وغيرهما ، وكان من شأن هذه السمة أن تثرى النهضة العلمية في الحضارة الإسلامية ، وكذلك تعددت وتنوعت مخرجات الثقافة الإسلامية بالوصف الذي سبق وقدمنا له في البند السابق .

❖ شمولية الطروحات لكافة المجالات :

لقد عمت الطروحات والرؤى والآراء كافة مجالات الحياة ، بل وأدخلت موضوعات جديدة في المسائل والقضايا الكونية الطبيعية والمسائل والقضايا الاجتماعية الإنسانية ، وربما تفسر هذه الميزة طبيعة النهضة الحضارية والفكرية الشاملة التي شهدها العصر العباسي .

❖ غياب طروحات الحكام :

لم نعد نسمع في العصر العباسي عن الحاكم أو الخليفة المجتهد كما كان الحال من قبل إلا نادراً وفي أضيق الحدود ، فالحكام أصبحوا حكاماً فقط وتركوا الفقه والبحث والعلم لأصحابه وأربابه الذين تخصصوا فيه وعكفوا عليه وانقطعوا له ، وهذا التطور جعل من الحكام تبعاً لأرباب الطرح وأصحاب الرأي ، وبالرغم من أن ذلك قد أثرى التفكير والفكر

والطرح إلا أنه في ذات الوقت أضعف من شأن الحكام وقلل من قدرهم وحدد تفكيرهم وفكرهم في أمور اللهو ومظاهر الأبهة والفخامة .

ثانياً : طبيعة أصحاب الطرح [أصحاب طروحات فكرية أم أصحاب طروحات إسلامية] :

تأسيساً على السمات الفكرية التي اتسمت بها فترة الحكم العباسي — والتي سبق وأوضحنا أهمها — فقد برز نوعان من أصحاب الطروحات :

❖ **النوع الأول : المفكرون أصحاب الطروحات الفكرية :**

ازداد عدد هذا القبيل من المفكرين المسلمين خلال العصر العباسي في مركز الدولة الإسلامية في بغداد وفي الأمصار والولايات الأخرى وبصفة خاصة الذين عكفوا على البحث العلمي بكافة فروعه وتخصصاته وما عُرف بعلم الكلام والفلسفة وكافة العلوم التنظيرية أو التأصيلية وقد اعتمد هؤلاء على جملة من المرتكزات تمثلت في الآتي :

– العقل : وضح اعتماد أفراد هذا القبيل من المفكرين المسلمين على العقل وجعلوا منه مرجعية مطلقه في الاستدلال والبحث في الأدلة المنطقية التي توصل إلى حقائق الأشياء ، وقد أخذ على هؤلاء إفراطهم في الاعتماد على العقل دون سواه .

– التكوين الذاتي : إلى جانب العقل الذي جاء في المرتبة الأولى في منظومة المرتكزات التي اعتمد عليها هذا اللفيف من المفكرين المسلمين كان هناك التكوين الذاتي لهؤلاء المفكرين ، والتكوين الذاتي كان يجمع مزيجاً مركباً من مجموعة من المفردات على رأسها الدين الإسلامي ثم العادات والتقاليد والأعراف والموروثات الثقافية والحضارية .

– الثقافات والمعارف المنقولة من الآخر : يأتي بعد المرتكزين أعلاه مرتكز ثالث اعتمد عليه هذا القبيل من المفكرين المسلمين وهو المتمين في الثقافات والمعارف المنقولة من الآخر ، ويقصد بالآخر الثقافات والحضارات التي جاءت قبل الحضارة الإسلامية أو عاصرتها مثل الحضارة الإغريقية والفارسية والهندية والرومانية .

ويلاحظ على مرتكزات هذا القبيل أنها بدأت بالعقل ورفعت من شأنه في حين أدرجت الدين في ثنايا التكوين الذاتي وساوته بمفردات المزيج مثل التكوينات الاجتماعية والموروثات الثقافية والحضارية .

النوع الثاني : المفكرون أصحاب الطروحات الإسلامية :

في هذا العصر كذلك برز لفيف آخر من المفكرين في جميع أنحاء الدولة الإسلامية وبالأخص في مركز الدولة ، وقد اعتمد هؤلاء المفكرون فيما يرتبط بإفرازاتهم ومخرجاتهم الفكرية على مجموعة من المرتكزات جاءت مرتبة على النحو التالي :

– المرجعيات الإسلامية المتمثلة في القرآن الكريم والسنة المطهرة : لعل ابرز سمات هذا القبيل هو طبيعة وترتيب المرتكزات الفكرية التي اعتمدوا عليها في إفراز وإخراج طروحاتهم ، فقد كان اعتمادهم الأساسي والأصيل على المرجعيات الإسلامية المتمثلة في القران الكريم والسنة المطهرة ، وكان ذلك هو الذي جعل طروحاتهم تمثل الثقافة الإسلامية بمعناها الدقيق والعميق ، وهو كذلك الذي فصل بين الفكر الإسلامي بالشكل الذي أوضحناه لدى النوع الأول من المفكرين والثقافة الإسلامية بالشكل الذي نتحدث عنه في هذه الجزئية .

– العقل : أما بالنسبة للعقل فقد رتبه هذا القبيل من المفكرين المسلمين في المرتبة الثانية بعد المرجعيات الإسلامية المذكورة أعلاه ، ولم يعتمدوا عليه بشكله المجرد ، ولكنهم

سيجّوه بالمرجعيات الإسلامية التي رقوها إلى المرتبة الأولى وحصنوه بالقيم المستقاة من تلك المرجعيات ، وقد اعتبر هؤلاء أن العقل قوة لا يستهان بها وقدرة ضرورية لإتمام عملية بناء الطرح بشكله الصحيح ، ومن ثم فلا غنى للمفكر من هذا القبيل عن المرتكزين معاً مرتبين بنفس هذا الترتيب ، كما أن المرجعيات لا تستقيم بوصفها مرتكز من المرتكزات التي يتكئ عليها المفكر المسلم إلا إذا جاءت مقرونة بالعقل الراجح الرشيد الذي سوف يتعامل معها ويستنبط منها الأصول والقواعد ، وهكذا ربط هؤلاء المفكرون بين المكانة السامية للمرجعيات الإسلامية والقدرة الفائقة للعقل المسنود بتلك المرجعيات ، فالأولى تمثل المصدر والمنبع للأصول والقواعد والثانية تجسد الآلية والأداة ، والتلازم واضح بين المرتكزين .

- التكوين الذاتي : كذلك لا يمكن إغفال التكوين الذاتي وتأثيره على الطروحات الإسلامية التي تخرج من المفكر الإسلامي وتتمثل مفردات ذلك التكوين في العادات والتقاليد والأعراف والموروثات الثقافية والحضارية ، ولكن يلاحظ أنها جميعاً تتفق مع القيم والمبادئ والمثل الإسلامية أو مع القيم الإنسانية العامة التي تتفق مع الفطر السوية .

- المعارف والثقافات المملوكة للآخر : لا ضير في أن يطلع المفكر المسلم على معارف وثقافات الآخرين فهي تمده بالتجارب والخبرات الإنسانية وتمنحه الفرصة للمقارنة بين الأفكار في طور التطبيق والواقع وهو ما يعرف بالتجارب ، إلا أنها لا يُعتمد عليها إلا بمقدار وفي حدود مفروضة .

ثالثاً : طبيعة الطروحات :

يُخرج كل فصيل من الفصيلين المتقدمين من المفكرين المسلمين طرحاً خاصاً به يحمل من السمات ما يتفق وطبيعة كل فصيل وهوية المرتكزات التي يستند عليها ، وعليه يكون هناك نوعان من الطروحات ، كما يلي :

❖ النوع الأول : الطروحات الفكرية الإسلامية :

هذه النوعية من الطروحات يغلب عليها طابع الأفكار العقلية سواء أكانت علمية تطبيقية أم نظرية اجتماعية أو إنسانية ، وينضوي تحت هذا النوعية العلوم الإسلامية الطبيعية والأساسية وفلسفات العلوم الاجتماعية والإنسانية ويطلق على كل ذلك الفكر الإسلامي .

❖ النوع الثاني : الطروحات الثقافية الإسلامية :

أما هذه النوعية من الطروحات فيغلب عليها طابع الأصول والقواعد النصية المنقولة أو المستنبطة بشكل مباشر من المرجعيات الإسلامية وتم مضاهاتها بالمتغيرات والمستجدات الواقعية ، وترد هذه النوعية من الطروحات في كافة المجالات وتغطى كافة الظواهر الكونية والاجتماعية والإنسانية وتعرف بالثقافة الإسلامية .

لقد ظهرت هذه الطروحات بنوعيها في العصر العباسي وسجلت للفكر والثقافة الإسلامية انجازات ستظل يانعة مزدهرة ما دامت الحياة على هذا الكوكب وستبقي أبداً معيناً لا ينضب تنهل منه الإنسانية ، ولعل ذلك العصر هو الوحيد الذي جمع بين هذين النوعين من الطروحات وكانت النتيجة النهائية نهضة علمية وفكرية وثقافية إسلامية .

المبحث الخامس

منهج الطرح الإسلامي والطروحات الإسلامية

وتطبيقاتها في عصر التفكك والانهيار

في هذا المبحث ننتقل إلى عصر جديد فيما يتعلق بالطروحات الإسلامية وتطبيقاتها من خلال منهج ذي أصول وقواعد ، وهذا العصر هو عصر التفكك والانهيار ، وقد اكتسب هذا العصر سماته من خصائصه والأحداث والتداعيات التي حدثت فيه وأصابت الأمة الإسلامية إصابات جسيمة أثرت على مستقبلها ومسار حركتها وأوصلتها إلى وضعها الراهن ، وقد بدأ ذلك العصر المأساوي بتفكك أوصال الدولة وتشتتها إلى ولايات وأقاليم مستقلة ومتناحرة وكان ذلك عقب انهيار عاصمة الخلافة على أيدي المغول ، ثم اقترن التفكك بانهيار لكافة الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في تلك الولايات والأقاليم ، وكان عصر التفكك والانهيار هو النهاية الفعلية لدولة الإسلام وحضارته وثقافته ، ومن ثم اتسم بشحة العطاء فيما يتعلق بالطروحات والإسهامات الفكرية ، وسنلقي نظرة على منهج الطرح الإسلامي والطروحات الإسلامية وتطبيقاتها في عصر التفكك والانهيار ، وذلك من خلال الآتي :

أولاً : إغلاق باب الطرح والاجتهاد :

ذكرنا أن عصر التفكك والانهيار قد اتسم بشحة العطاء فيما يتعلق بالطروحات والاجتهادات ، وقد وقفت وراء ذلك أسباب عديدة وترتبت عليه كذلك نتائج كثيرة ، وذلك على النحو التالي :

❖ أسباب إغلاق باب الطرح والاجتهاد :

عوامل عديدة وقفت وراء إغلاق باب الطرح والاجتهاد في عصر التفكك والانهيار ، ومن هذه العوامل يمكننا الإشارة إلى ما يلي :

– انعدام الثقة في العقل المسلم وقدرته على الاجتهاد والطرح والعطاء ، فالعلماء أصبحوا يعتمدون على النقل مما رسخ لديهم الكسل الذهني والركود العقلي .

– ازدياد الفجوة الزمنية بين عصور النبوة الزاهر والخلافة الراشدة والإيناع والازدهار الثقافي والحضاري في العصر العباسي جعل المسلمين يبتعدون تلقائياً عن أجواء الاجتهاد والعطاء والإسهام الفكري والثقافي والحضاري .

– سيادة حالة من التخلف والجهل ، اقترن عصر التفكك والانهيار بسيادة حالة من الجهل والتخلف ترتبت على تخريب المغول للمشرق الإسلامي وتفكيك أوصال الدولة وانهيار أنظمتها السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية وبالأخص التعليم والثقافة ، وقد عمت هذه الحالة كافة ربوع الدولة الإسلامية .[1]

ـ انصراف النظم السياسية في العالم الإسلامي عن الطروحات الإسلامية وتقاعسها عن تشجيع العلماء ودفعهم نحو الاجتهاد والعطاء والإسهام كما كان الحال من قبل في عصور الإسلام الزاهرة .

❖ نتائج إغلاق باب الطرح والاجتهاد :

عن إغلاق باب الطرح والاجتهاد نتجت نتائج عديدة ، يمكننا أن نعدد بعضها في الآتي :

---

[1] . يمكن الرجوع إلى موسوعة الدرر الزاهرة في الأصالة المعاصرة ، المجلد الرابع : الذات الحضارية للإسلام (الحضارة الإسلامية) الجزء السادس : العلوم الطبيعية وتطبيقاتها ، الفصلين السابع والثامن .

– توقف الطروحات والاجتهادات : بالقطع كانت النتيجة المباشرة والمهمة تتمثل في توقف الطروحات والاجتهادات التي تصدر عن علماء المسلمين للتعامل مع المتغيرات واحتواء المستجدات التي تزخر بها الأيام ، وقد كانت التداعيات تتوالى والأحداث تتسارع في العالم الإسلامي ، وتنذر بإقدامه على مرحلة جديدة من التخلف والجهل وفقدان الذات .

– التهيؤ والاستعداد لاستقبال أفكار من خارج العالم الإسلامي : الركود الذي أصاب العالم الإسلامي في طروحاته وأفكاره ورؤاه وآرائه جعل المجتمعات الإسلامية تفقد ذاتها وتعيش في حالة توق وتلهف شديدين إلى أفكار الآخر وطروحاته ، وكان ذلك بمثابة أول بوادر وعناصر التخلف والجهل الذي تجسد في التبعية .

– الابتعاد عن المرجعيات الإسلامية كمصادر للنظام الاجتماعي : لقد أوشك النظام الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية أن يبتعد عن المرجعيات الإسلامية كمصادر لأصوله وقواعده ، والنظام الاجتماعي ينصرف إلى كافة الأنظمة المجتمعية من سياسية واقتصادية وإدارية ومجتمعية ، وكان ذلك إيذاناً بالاعتماد على الآخر في استيراد هذه الأنظمة والاعتماد عليها لتحل محل الأنظمة ذات الصبغة الإسلامية التي كانت موجودة وفقدت قدرتها على التفاعل مع المتغيرات والمستجدات بفعل توقف الطروحات والاجتهادات الإسلامية .

– توقف العديد من القيم الإسلامية عن التفاعل مع مفردات ومكونات المجتمع الإسلامي ، وذلك بسبب الاغتراب بين تلك القيم والواقع الإسلامي الذي فقد صلته بها لغياب الطروحات التي تعمل دوماً كأداة وصل بين القيم الإسلامية ومجتمعاتها ، وأدى غياب القيم إلى حلول قيم أخرى محلها وكانت في المعتاد قيماً مستوردة من المجتمعات التي أبهرت العالم الإسلامي .

ثانياً : الاعتماد على الطروحات السابقة :

بالإضافة إلى إغلاق باب الطرح والاجتهاد الذي تميز به عصر التفكك والانهيار كان هناك الاعتماد على الطروحات السابقة ، وهما مسألتان يرتبطان ببعضهما أشد الارتباط ، فإغلاق باب الطرح والاجتهاد سلّم منطقياً إلى الاعتماد بشكل دائم على طروحات الزمن الماضي بالرغم من أنها أصبحت غير متوائمة مع الواقع بمتغيراته ومستجداته ، فلم يكن هناك مفر من ذلك في ظل واقع مجرد من أية طروحات أو رؤى أو توجهات ، إلا أنه كان لذلك الواقع المعتمد على الماضي المجتر لذكرياته خطورته على ماضي وحاضر ومستقبل الأمة الإسلامية وتمثلت تلك الخطورة في الآتي :

❖ **الارتباط بالماضي وفقدان التواصل مع الحاضر :**

لقد عمد المجتمع المسلم في فترة التفكك والانهيار إلى الارتباط الشديد بالماضي وفقد التواصل مع حاضره وواقعه ، وأصبح المجتمع المسلم يعيش على ماضيه ويجد صعوبة في التعامل مع الحاضر الذي بدا مبهماً غامضاً بمتغيراته ومستجداته ، فكيف له بالتواصل والتفاهم والتفاعل مع الحاضر وهو لا يملك الأدوات والآليات التي تمكنه من ذلك وهي الطروحات والرؤى والآراء التي تفسر الواقع وتكيفه مع المرجعيات الشرعية لذلك المجتمع .

❖ **الإساءة إلى الماضي :**

كذلك كان في الاعتماد على الطروحات السابقة وغياب الطروحات التي تصدر من الواقع وتتعامل معه ما يسيء إلى الماضي التليد بطروحاته وانجازاته الثرية وذلك عندما يبدو ذلك الماضي بعطائه وثرائه القيم عاجزاً عن إدراك المقصود وعلاج قضايا الحاضر وحل إشكالياته .

وهكذا بدا عصر التفكك والانهيار مفتقراً إلى الطروحات والآراء والرؤى الصادرة بناءً على منهج أصولي علمي وتعالج قضايا ذلك العصر وإشكالياته ، وترتب على ذلك أن توجهت المجتمعات الإسلامية إلى الماضي لتستدعي طروحاته التي بدت غير مجدية ، وكذلك اتجهت إلى الآخر لتستعير طروحاته التي بدت غير متلائمة .

المبحث السادس

منهج الطرح الإسلامي والطروحات الإسلامية

وتطبيقاتها في الوقت الراهن

بالرغم من أن الوقت الراهن هو امتداد طبيعي وإفراز مباشر وعضوي لعصر التفكك والانهيار ، إلا أن زماننا له واقعه المميز وتفاعلاته الخاصة وإفرازاته المتفردة ، وعليه فكان من المحبذ والمجدي معاً تناوله منفصلاً في جزئية مستقلة للوقوف على ذلك الواقع وتحليل تلك التفاعلات ورصد الإفرازات ، وذلك على النحو التالي :

أولاً : طبيعة الحاضر .. قضاياه وإشكالياته :

مما لا شك فيه أن الواقع الإسلامي يتميز في قضاياه ويتفرد في إشكالياته ، فالقضايا والإشكاليات لا تتكرر ولكنها تتجدد بأشكال وتكوينات مختلفة ، ومن ثم فهي تحتاج إلى علاج يتواءم مع طبيعتها ويتناسب مع مكوناتها ، وهذه هي مهمة أبناء هذا العصر من المسلمين .

إن قضايا الحاضر وإشكالياته تنبع منه وتحمل نفس سماته وخصائصه ، ولا يمكن لغيرنا أن يستوعبها ويفهمها ، إن تلك القضايا والإشكاليات تمس حياتنا بكافة جوانبها وأبعادها ، فهي نتاج تفاعلاتها وحصيلة تطوراتها ، فهذه القضايا والإشكاليات تتسم بالجدة فكثير منها غير مسبوق ، وكذلك تتسم بالتعقيد الذي اتسمت به الحياة ذاتها ، وأيضاً فتلك القضايا والإشكاليات تجد كثيراً من أسبابها ودواعيها في متغيرات ومستجدات واردة من خارج عالمنا الإسلامي ومن عالم الآخر .

ثانياً : احتياج الحاضر إلى الطرح المناسب :

الحاضر الذي نعيشه بقضاياه وإشكالياته المترتبة على متغيراته ومستجداته في حاجة إلى طرح مناسب لتلك القضايا والإشكاليات تعالجها وتدمجها في نسيج المجتمع ، ولابد لذلك الطرح أن يخرج من ذلك الحاضر يستوعب متغيراته ومستجداته ويعالج قضاياه وإشكالياته ، ومن ثم فلكل عصر طروحاته .

ثالثاً : ندرة الطروحات التي تخرج من الواقع المعاصر :

وبالرغم من الاحتياج الشديد لدى الواقع المعاصر إلى الطروحات الإسلامية التي تعالج قضاياه وإشكالياته ، إلا أن ذلك الواقع يعاني من شحة ملحوظة وندرة واضحة فيما يتعلق بالطروحات التي تعالج تلك القضايا والإشكاليات ، ولعل أسباب ذلك القصور في إفراز الطروحات يرجع إلى الاغتراب بين الحاضر ، الذي يعيشه المسلمون وبين المرجعيات الإسلامية التي تستقي منها وتستنبط أصول وقواعد الطروحات ، وهذا الاغتراب يعاني منه المفكر الباحث ويعاني منه رجل الحركة كذلك ، كما يرجع ذلك القصور أيضاً إلى اعتماد الواقع الإسلامي في تفاعلاته ونماذج وأدوات حركته على الآخر الذي يكن عداءً شديداً وحقداً دفيناً للإسلام وأبنائه ، وبالرغم من إحكام الظروف وقسوة الأوضاع التي يعايشها العالم الإسلامي إلا أن ثمة محاولات جادة في سبيل الطرح الإسلامي .

رابعاً : محاولات الطرح الإسلامي في الوقت الراهن :

محاولات الطرح الإسلامي على مدى عصر التفكك والانهيار وحتى وقتنا الراهن لم تتوقف ، بل هي تتوالى بشكل أصيل ورصين ، ولكن الإشكالية لا تكمن في وجود الطرح من عدمه بل تكمن في تأثير الطرح في الواقع واستجابته له وتفاعله معه ، ففي كل حقبة من حقب ذلك العصر المجدب وُجدت الطروحات التي تعالج قضايا وإشكاليات تلك الحقبة في كافة

مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وبعض تلك الطروحات كان يتحول إلى نماذج وأدوات للحركة ، ولكن تلك الطروحات وتطبيقاتها لم تكن تلق القبول والاندماج والتفاعل مع المجتمعات الإسلامية ، ومن ثم لم يكتب لها البقاء ولم يقدر لها تحقيق أهدافها للإسلام ولمجتمع الإسلام .

خامساً : تشجيع الطروحات الإسلامية في الوقت الراهن :

إن الزمن الذي نعيش فيه في مسيس الحاجة إلى الطروحات الإسلامية التي تتناول قضاياه وإشكالياته بالمعالجة . ليس ذلك فقط بل لإعادة المجتمعات الإسلامية إلى طريقها الصحيح ومنهجها القويم ، وتحتاج الطروحات الإسلامية في وقتنا الراهن إلى تكاتف وتضافر بين ثلاثة أطراف : الطرف الأول : كوكبة علماء الأمة الإسلامية وهم المكلفون بصياغة الطروحات وتقديمها إلى المجتمع ودمجها في نسيجه ومتابعتها للتحقق من تحقيقها لأهداف وتخولها بالتقويم المستمر ، الطرف الثاني : المجتمع الإسلامي ، الذي ينبغي أن يقدم على الطروحات بكافة فئاته وطوائفه ويضعها موضع التطبيق من خلال الفهم والاستيعاب ثم مراعاتها في السلوك والتصرف والعلاقات والمعاملات ، والرجوع إلى كوكبة علماء الأمة في كل صغيرة وكبيرة للوقوف على الرأي الصحيح والطرح القويم ، الطرف الثالث : المنهاج الإسلامي [النظام السياسي] حيث يعمد إلى تشجيع العلماء وتبنى الطروحات وتطبيقاتها بل وفرضها إذا اقتضى الأمر ذلك .